إنس قبلهم ولا جان﴾ ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي . حدثنانوح بن حبيب ، حدثنا نصر بن مزاحم العطار ، حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضي الله عنه رفعه نوح قال : لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها .

وقوله عز وجل : ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ أي مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا . وقوله ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ هذا استثناء يؤكد النفي فإنه استثناء منقطع ، ومعناه أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» وقد تقدم الحديث في سورة مريم عليها الصلاة والسلام . وقال عبد الرزاق : حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ «يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً» رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق به هكذا يقول أبو إسحاق ، وأهل العراق يقولون أبو مسلم الأغر ، وأهل المدينة يقولون أبو عبد الله الأغر . وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني : حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم ابن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس ، ويحيا فيها فلا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه» .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى ، حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا سليم بن عبد الله الرقي ، حدثنا مصعب بن إبراهيم ، حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : سئل نبي الله ﷺ : أينام أهل الجنة ؟ فقال ﷺ «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون» وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري ، حدثنا المقدام بن داود ، حدثنا عبد الله بن المغيرة ، حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون» ، وقال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا الفضل بن يعقوب ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : هل ينام أهل الجنة ؟ قال ﷺ «لا ، النوم أخو الموت» ثم قال : لا نعلم أحداً أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه إلا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي ، هكذا قال ، وقد تقدم خلاف ذلك ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ووقاهم عذاب الجحيم﴾ أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم ، فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المرهوب ولهذا قال عز وجل : ﴿فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ أي إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال «اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة» قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ﷺ «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» ، وقوله تعالى : ﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾ أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بينا جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأعلاها ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي يتفهمون ويعلمون .

ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلياً له وواعداً له بالنصر . ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك ﴿فارتقب﴾ أي انتظر ﴿إنهم مرتقبون﴾ أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة ، فإنها لك يا محمد ولإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى : ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه ، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض ، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس ، والأنواع من الملائكة والجن والانس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات ، وما في البحر من الأصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران ، هذا بظلامه وهذا بضيائه ، وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه ، وسماه رزقاً لأن به يحصل الرزق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء . وقوله عز وجل : ﴿وتصريف الرياح﴾ أي جنوباً وشمالاً ودبوراً وصبا ، برية وبحرية ، ليلية ونهارية . ومنهاما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء للأرواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج ، وقال سبحانه وتعالى : أولاً : ﴿لآيات للمؤمنين﴾ ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى ، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهي قوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاً غريباً في خلق الإنسان من الأخلاط الأربعة ، والله أعلم .

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى : ﴿تلك آيات الله﴾ يعني القرآن بما فيه من الحجج والبينات ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ أي متضمنة الحق من الحق ، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ثم قال تعالى : ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ أي أفاك في قوله كذاب حلاف مهين أثيم في فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال : ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه﴾ أي تقرأ عليه ﴿ثم يصر﴾ أي على كفره وجحوده استكباراً وعناداً ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي كأنه ما سمعها ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أي فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذاباً أليماً موجعاً ﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا﴾ أي إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذه سخرياً وهزواً ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ أي في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ، ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال ﴿من ورائهم جهنم﴾ أي كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة ﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً﴾ أي لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أي ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ ثم قال تبارك وتعالى : ﴿هذا هدى﴾ يعني القرآن

﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ وهو المؤلم الموجع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر ﴿لتجري الفلك﴾ وهي السفن فيه بأمره تعالى ، فإنه هو الذي أمر البحر بحملها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي في المتاجر والمكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي على حصول المنافع المجلوبة من الأقاليم النائية والآفاق القاصية ، ثم قال عز وجل : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ أي من الكواكب والجبال والبحار والأنهار ، وجميع ما تنتفعون به أي الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ولهذا قال ﴿جميعاً منه﴾ أي من عنده وحده لا شريك له في ذلك ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجارون﴾ وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ كل شيء هو من الله . وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه ، فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن أنه كذلك . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا الفريابي عن سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي أراكة قال : سأل رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : مم خلق الخلق ؟ قال : من النور والنار والظلمة والثرى . قال : وائت ابن عباس رضي الله عنهما فاسأله ، فأتاه فقال له مثل ذلك ، فقال : ارجع إليه فسله مم خلق ذلك كله . فرجع إليه فسأله فتلا ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ هذا أثر غريب وفيه نكارة ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ أي ليصفحوا عنهم ويتحملون الأذى منهم وكان هذا في ابتداء الإسلام ، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد . هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ، وقال مجاهد : ﴿لا يرجون أيام الله﴾ لا ينالون نعم الله تعالى ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ أي إذا صفحوا عنهم في الدنيا فإن الله عز وجل مجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم وجعله الملك فيهم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات﴾ أي من المآكل والمشارب

﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أي في زمانهم ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أي حججاً وبراهين وأدلة قاطعات ، فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة ، وإنما كان ذلك بغياً منهم على بعضهم بعضاً ﴿إن ربك﴾ يا محمد ﴿يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي سيفصل بينهم بحكمه العدل ، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهجهم ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ أي اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ، وقال جل جلاله ههنا : ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أي وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً ﴿والله ولي المتقين﴾ وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، ثم قال عز وجل ﴿هذا بصائر للناس﴾ يعني القرآن ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى : ﴿لا يستوي المؤمنون والكافرون﴾ كما قال عز وجل : ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ أي عملوها وكسبوها ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟﴾ أي نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ﴿ساء ما يحكمون﴾ أي ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار . قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مؤمل بن إهاب ، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي ، حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباجي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان ، فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين ، قيل : وما هن يا أبا ذر ؟ قال يسلم حلال الله لله وحرام الله لله وأمر الله لله ونهي الله لله لا يؤتمن عليهن إلا الله .

قال أبو القاسم ﷺ «كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار» . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أنهم وجدوا حجراً بمكة في أس الكعبة مكتوب عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يجنى من الشوك العنب . وقد روى الطبراني من حديث شعبة عن عمر بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق أن تميماً الداري قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ساء ما يحكمون﴾ وقال عز وجل : ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي بالعدل ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ .

ثم قال جل وعلا : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أي إنما يأتمر بهواه ، فما رآه حسناً فعله وما رآه قبيحاً تركه ، وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين ، وعن مالك فيما روي عنه من التفسير لا يهوى شيئاً إلا عبده . وقوله ﴿وأضله الله على علم﴾ يحتمل قولين : أحدهما وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك ، والآخر وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه . والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ أي فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئاً يهتدي به ولا يرى حجة يستضيء بها . ولهذا قال تعالى : ﴿فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ كقوله تعالى : ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ .

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ

فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد ﴿**وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا**﴾ اي ما ثم الا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثم معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد ، وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البداءة والرجعة ، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدرية المنكرون للصانع ، المعتقدون ان في كل ستة وثلاثين الف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا ان هذا قد تكرر مرات لا تتناهى ، فكابروا العقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ قال الله تعالى : ﴿**وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**﴾ أي يتوهمون ويتخيلون فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقول تعالى يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره» وفي رواية «لا تسبوا الدهر فان الله تعالى هو الدهر» وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جداً فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا سفيان بن عتيبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله تعالى في كتابه : ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**﴾ ويسبون الدهر فقال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله . ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر و أنا الدهر بيدي الليل و النهار» وأخرجه صاحبا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به . وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يقول الله تعالى : استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي ، يقول وادهراه و أنا الدهر» قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر» كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الافعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل ، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار ، لان الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون اليه تلك الأفعال ، هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد ، والله أعلم ، وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذا من هذا الحديث .

وقوله تعالى : ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**﴾ أي إذا استدل عليهم وبين لهم الحق ، وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ﴿**ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**﴾ أي أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً . قال الله تعالى : ﴿**قل الله يحييكم ثم يميتكم**﴾ أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ؟**﴾ أي الذي قدر على البداءة قادر على الاعادة بطريق الأولى والأحرى ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**﴾ ﴿**ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه**﴾ أي إنما يجمعكم إلى يوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا ﴿**ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**﴾ ﴿**يوم يجمعكم ليوم الجمع**﴾ ﴿**لأي يوم اجلت ليوم الفصل وما نؤخره إلا لأجل معدود**﴾ وقال ههنا ﴿**ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه**﴾ أي لا شك فيه ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ أي فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد قال الله تعالى : ﴿**إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً**﴾ أي يرون وقوعه بعيداً والمؤمنون يرون ذلك سهلاً قريباً .

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال عز وجل ﴿**يوم تقوم الساعة**﴾ أي يوم القيامة ﴿**يخسر المبطلون**﴾ وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

وقال ابن أبي حاتم : قدم سفيان الثوري المدينة فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس ، فقال له : يا شيخ أما علمت أن لله تعالى يوماً يخسر فيه المبطلون ؟ قال : فما زالت تعرف في المعافري حتى لحق بالله تعالى ، ذكره ابن أبي حاتم ثم قال تعالى : ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ أي على ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال إن هذا إذا جيء بجهنم فانها تزفر زفرة ، لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ، حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول : نفسي نفسي نفسي ! لآ أسألك اليوم إلا نفسي . وحتى إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول : لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني ! قال مجاهد وكعب الأحبار والحسن البصري ﴿كل أمة جاثية﴾ أي على الركب . وقال عكرمة : جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب ، والأول أولى . قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن باباه أن رسول الله ﷺ قال «كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم» وقال إسماعيل بن أبي رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً في حديث الصور : فيتميز الناس وتجثو الأمم ، وهي التي يقول الله تعالى : ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمةٍ تدعى الى كتابها﴾ وهذا فيه جمع بين القولين ولا منافاة ، والله أعلم .

وقوله عز وجل ﴿كل أمة تدعى الى كتابها﴾ يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله ﴿ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء﴾ ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الانسان على نفسه بصيره * ولو ألقى معاذيره﴾ ولهذا قال جلت عظمته ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله جل جلاله ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ وقوله عز وجل ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم . قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلى السماء ، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة ، مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر ، مما كتبه لله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ثم قرأ ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ .

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى : ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة وهي الخالصة الموافقة للشرع ﴿فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ وهي الجنة كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ أي البين الواضح . ثم قال تعالى : ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ؟﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً ، أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها ، وأعرضتم عن سماعها ، وكنتم قوماً مجرمين في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ ﴿وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها﴾ أي إذ قال لكم المؤمنون ذلك ﴿قلتم ما ندري ما الساعة﴾ أي لانعرفها ﴿إن نظن إلا ظناً﴾ أي إن نتوهم وقوعها إلا توهماً أي مرجوحاً ولهذا قال ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ أي بمتحققين . قال الله تعالى : ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾ أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ﴿وحاق بهم﴾ أي أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي من العذاب والنكال ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ . وقد ثبت في

الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة «ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب . فيقول أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيتني» .

قال الله تعالى : ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا﴾ أي إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزئون بها ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ أي خدعتكم فاطمأننتم إليها فأصبحتم من الخاسرين ، ولهذا قال عز وجل ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ أي من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم العتبى بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين ، قال ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض﴾ أي المالك لهما وما فيهما ، ولهذا قال ﴿رب العالمين﴾ ثم قال جل وعلا ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ قال مجاهد : يعني السلطان أي هو العظيم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد في الحديث الصحيح «يقول الله تعالى : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري» ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ بنحوه . وقوله تعالى : ﴿وهو العزيز﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ﴿الحكيم﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو .

سورة الأحقاف

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد ﷺ ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم الدين ، ووصف نفسه بالعزة التي لاترام ، والحكمة في الاقوال والأفعال ، ثم قال تعالى : ﴿ماخلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق﴾ أي لا على وجه العبث والباطل ﴿وأجل مسمى﴾ أي والى مدة معينة مضروبة لاتزيد ولاتنقص ، وقوله تعالى : ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ أي لاهون عما يراد بهم ، وقد أنزل الله تعالى اليهم كتاباً وأرسل اليهم رسولاً ، وهم معرضون عن ذلك كله اي وسيعلمون غب ذلك . ثم قال تعالى : ﴿قل﴾ أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي أرشدوني الى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات ؟﴾ أي ولاشرك لهم في السموات ولافي الأرض ومايملكون من قطمير ، إن الملك والتصرف كله إلا لله عز وجل ، فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشدكم الى هذا ؟ من دعاكم اليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند انفسكم ؟ ولهذا قال ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾ اي هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿أو اثارة من علم﴾ اي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي لا دليل لكم لانقلياً ولا عقلياً على ذلك ، ولهذا قرأ آخرون : أو أثرة من علم اي او علم صحيح تؤثرونه عن أحد ممن قبلكم ، كما قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾ أو أحد يأثر علماً ، وقال العوفي عن ابن عباس رضي